

"داعش" بعد عام على السقوط: شطب الوجود العسكري ولم يختفِ الفكر المتطرف

سقط تنظيم الدولة الاسلامية "داعش" تنظيميا وجغرافيا وعسكريا مع خسارته كل الاراضي التي سيطر عليها في العراق وسوريا. لكنه لم يسقط ولم ينته كفكر متطرف ومشروع عابر للدول والحدود، وكخطر قائم على الامن والسلام في المنطقة والعالم. واذا كان التنظيم انكفاً عن سوريا والعراق، فانه عمد الى تغيير خطته وابقى على استراتيجيته

معركتان مفصليتان في سوريا والعراق كتبتا النهاية لـ"داعش" على ارض هذين البلدين المتجاورين: معركة الرقة التي قضت على معقله وقاعدته المركزية في سوريا، وحشرته في جيوب ونقاط متناثرة في مناطق شرق نهر الفرات، ومعركة الموصل التي قضت على عاصمته في العراق وقطعت خطوط تواصله الجغرافي مع سوريا بشكل نهائي. لكن، اذا كان قد اختفى من سوريا والعراق او يكاد، ظهر في دول عربية اخرى باسكال جديدة.

اذن، سحق مشروع تنظيم "داعش" (الخلافة) لم يهزمه، ما زال التنظيم والموالون له يمثلون تهديدا كبيرا ومتناميا في انحاء العالم، على الرغم من الخسائر العسكرية الكبرى التي لحقت بهم في العراق وسوريا. وهذا يعني ان الحرب ضده دخلت مرحلة جديدة. اذ ان تهديده خارج العراق وسوريا يتنامى. في مصر اظهر الموالمون



تنظيم الدولة الاسلامية سحق عسكريا لكن خطره الامني باق.

له قدرة كبيرة على مواصلة نشاطهم، واصبحوا يمثلون تهديدا متزايدا. في ليبيا، يسعى الى اعادة بناء قدراته، ويواصل شن الهجمات المتفرقة هناك. في غرب افريقيا، يواصل العمل في مالي والدول المجاورة. وفي شرق افريقيا ينشط الموالمون له في بونتلان وجنوب الصومال.

تنتشر في شمال افريقيا فروع عدة لـ"داعش"، لكن ابرزها واكثرها نشاطا بلا شك فرع ولاية سيناء في مصر الذي قام على انقاض جماعة اخرى كانت محسوبة على تنظيم القاعدة، وتطلق على نفسها اسم انصار بيت المقدس.

في السنوات التي تلت مبايعة بيت المقدس لرئيس "داعش" ابوبكر البغدادي، سجل تصاعد مخيف في حجم العمليات التي تشهدها مناطق سيناء المختلفة. لكن تصاعد عمليات ولاية سيناء لم يبق من دون رد. اذ اطلق الجيش المصري حملة واسعة لتطهير شبه الجزيرة من المتشددين،



الجهاديون العائدون الى اوربا ذئاب منفردة.

مخابئ جند الخلافة وقتلت زعيمهم، منهية وجودهم بالكامل. في المغرب، لم يسجل حتى اليوم تنفيذ "داعش" هجمات ارهابية. لكن اجهزة الامن اعلنت عن توقيف عشرات بتهمة انشاء خلايا بايعت التنظيم او تأثرت بافكاره.

اذا كان هذا وضع التنظيم في المغرب العربي، فان توسعه في قلب القارة الافريقية لم يكن سلسا. في دول الساحل، فشل في تحقيق اختراق مهم في مناطق نشاط فرع القاعدة في الصحراء، مثل مالي والنيجر وبوركينا فاسو. لكنه تمكن في المقابل من تحقيق خرق داخل نيجيريا. في اذار 2015 اعلن زعيم بوكو حرام ابوبكر شيخو (شيكوا) مبايعة البغدادي الذي رد بقبولها، موسعا بذلك نشاط "داعش" في واحدة من اهم الدول الافريقية.

في اوربا، عاد الملف الارهابي الى الواجهة ليقض مضاجع المسؤولين الامنيين فيها مع عودة المقاتلين الاوروبيين مع تنظيم "داعش" الى دولهم، وهم بالمئات، بعد الهزائم الكبيرة التي تعرض لها وتقويض خلافته. كما ان المئات منهم اختفت اثارهم، وقسم منهم لا يزال في صفوف التنظيم وخلاياه السرية في الشرق الاوسط، فيما بقي الكثيرون متمسكين بشكل من اشكال الجهاد العنيف، ما يعزز احتمالات صعوبة تلاشي ظاهرة المقاتلين الاجانب في المستقبل القريب. تشكل عودة الدواعش الاوروبيين الى اوطانهم

خطورة كبيرة، اذ تحولهم الى خلايا نائمة وقنابل موقوته بعد اكتسابهم مهارات قتالية حرفية نتيجة تدريبهم في معسكرات التنظيم على شن عمليات ارهابية. تتعدد مصادر تهديدهم ما بين الاقل خطورة والاكثر خطورة:

- هناك السياح المجاهدون. هؤلاء يحملون في البداية افكارا مثالية عن القتال ثم يصطدمون بالامر الواقع. الا انهم يحاولون خداع الاخرين بالترويج لافكار عن عظمة الجهاد عند عودتهم الى دولهم. وهم يشكلون خطرا جديا على اوربا.
- هناك الجهاديون العابرون للقارات. هؤلاء لديهم التزام ايديولوجي بالعنف باسم الاسلام في الداخل والخارج. لهذا لا يعودون الى بلدانهم الا بعد تنفيذ هجمات في الخارج. وهذا النمط هو الاشد خطورة والاكثر انتشارا.

- اما ابرز نماذج الازمة الجهادية فهي الذئاب المنفردة (Lone - Wolf) وشرطة الشريعة في مدينة فوبرتال الالمانية.

توقع تقرير من وكالة الامن الاوروبية يوروبول ان تزداد الهجمات في دول الاتحاد الاوروبي، سواء من جماعات ام افراد. القلق ليس من الهجمات فقط، بل من تكتيكات جديدة وادوات الرعب التي قد يستخدمها التنظيم لخلق الفوضى، لاسيما ان "داعش" اصبح خبيرا في استخدام السيارات المفخخة في العراق وسوريا، والتي قد يستخدمها

قريبا في اوربا. وقد نبه الخبراء الى ضرورة الوقاية من خطرين محدقين: المنحى الذي سيتخذه التنظيم والمجموعات التي ستخلفه والتي تشكل خطرا على الامن الاوروبي والدولي، لاسيما انه قادر على ابقاء بنية سرية وجهاز دعائي عبر الانترنت العالي النوعية، مهمته الهام كل الاسلاميين في انحاء العالم.

ثمة وجهتا نظر حول مستقبل "داعش" ومساره بعد انهيار خلافته في سوريا والعراق تتمحوران حول نوعية الهزائم واثرها في تحديد مستقبل هذا التنظيم:

- التراجع والانهايار انطلاقا من الوقائع العملية لعامي 2015 و2016 وتعود الى مؤشرات دامغة تثبت تراجع التنظيم. تستدل في تفسيرها الى تحول الخلافة المرعومة من واقع يتمدد جغرافيا الى واقع ينحسر ويفقد الارض والقيادات العسكرية والاعلامية والدينية. وتشير الى ان "داعش" يعاني كثيرا من اجل الحفاظ على صورة تنظيم يعمل.

- التكيف واعادة الانتشار انطلاقا من القدرة الذاتية للخط والعقيدة الايديولوجية الداعشية على الصمود واعادة الانبعث في شكل متوال ومتجدد. الانتشار المخيف للتنظيم ايديولوجيا يمكنه من التجنيد عن بعد، وخلق مناطق غير آمنة في دول اوربية عدة منطلقا من صلابة البعد العقائدي القتالي وتغلغله وانتشاره في صفوف الجيل الثالث للشباب المسلم والمتعلم في الغرب. وتنبه هذه النظرية الى ان اوربا، وليس العالم العربي فحسب، تعيش ظاهرة جديدة ولدت مع "داعش" هي ظاهرة اسلمة الراديكالية وتحويل الجيل الجديد من الشباب في الغرب الى حامل قوي للعقيدة القتالية الداعية. مع الاشارة الى ان تنظيم "داعش" اعلن الحرب الافتراضية (حرب الانترنت) على الدول والمصالح الغربية. وهذه الحرب ربما ستؤذيها اكثر لانها ستجند متشددين ليس لحروب في الشرق الاوسط، ولكن لحروب في داخل هذه الدول. وقد بدأ "داعش" خطوات كبيرة لاعادة تجميع عملياته الدعائية التي تعتبر من اكثر اسلحته خطرا. وتعتبر هذه النظرية ان تمدده وتراجعها لا يمكن عزلهما عن السياق العام للايديولوجية الدينية القتالية، وبالتالي فان هزائمه لا تعني بالضرورة هزيمة استراتيجية للروح الدينية القتالية، ما يؤشر الى امكان انبعائه باسماء متجددة في بنية تنطلق من الصراع الديني.